الفصل الثامن والثلاثون بعد المئة

لغة القرآن

ولتشخيص لغة القرآن صلة كبيرة في تعيين وتثبيت المراد من العربية الفصيحة أي العربية المبينة . ولهذا فأنا مضطر الى التعرض لها ، وإن كان الموضوع بحثنا إسلامياً ، فأقول نزل القرآن منجماً (بلسان عربي مبين) . ولكن العرب كانوا ولا زالوا يتكلمون بلهجات ، فبأية لهجة من لهجاتها نزل القرآن الكريم ؟

لقد تطرق (الطبري) في مقدمة تفسيره الى هذا الموضوع بعد أن تعرض لرأي من زعم أن في القرآن كلماً أعجمياً ، وأن فيه من كل لسان شيئاً ، فقال : « قال أبو جعفر : قد دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه ، على أن الله جلّ ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغتها . فنقول الآن : إذا كان ذلك صحيحاً في الدلالة عليه ، فبأي ألسن العرب أنزل ؟ أبألسن جميعها أم بألسن بعضها ؟ إذ كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب ، فهم مختلفو الألسن بالبيان ، متباينو المنطق والكلام . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله جلّ ذكره قد أخبر عباده أنه قد جعل القرآن عربياً ، وأنه أنزل بلسان عربي مبين ، ثم كان ظاهره محتملاً خصوصاً وعموماً ، لم يكن السبيل الى العلم بما عنى الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه إلاّ ببيان من جعل اليه بيان القرآن ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا كان ذلك كذلك ،

وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه، صلى الله عليه وسلم ، بما حدثنا خلاد بن أسلم، قال : حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة ، قال : لا أعلمه إلاّ عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف، فالمراء في القرآن كفرٌ ، ثلاث مرّات . فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردّوه الى عالمه »[1] .

واستمر الطبري بعد ذلك في تعداد الطرق التي ورد فيها هذا الحديث: حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، ورواية بعض الأخبار الواردة في حدوث اختلاف بين الصحابة في حفظ بعض الآيات وقراءتها . ثم خلص بعد هذا السرد الى نتيجة ، هي أن القرآن « نزل بألسن بعض العرب دون ألسن جميعها ، وأن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي بين أظهرهم هي ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها »[2] ، فلم يجزم بتعيين اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم .

وحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » حديث معروف مشهور ، يرد في كتب التفاسير وفي كتب المصاحف والقراءات . ورد بطرق متعددة ، وبأوجه مختلفة . وهذه الطرق والأوجه ، وان اختلفت في سرد متن الحديث وفي ضبط عباراته ، قد اتفقت في الفكرة ، وخلاصتها نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف. ويقصدون بالحرف وجهاً من أوجه الألسنة ، أي لهجة من اللهجات[3] .

أما رجال سند هذا الحديث ، فعديدون ، وفي حال بعضهم كابن الكلبي وأبي صالح مغمز[4] . وهم جميعاً يرجعون سندهم الى جماعة من الصحابة ، هم نهاية سلسلة السند ، قالوا : إنهم سمعوا الحديث من الرسول ، ويعنون بهم : عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفّان ، وابن عبّاس ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وأنساً ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبا بكرة ، وأبا جهم ، وأبا سعيد

---

١ تفسير الطبري (١/٩ وما بعدها) .
٢ تفسير الطبري (١/٢٥) .
٣ تفسير الطبري (١/٩) ، تاج العروس (٦/٦٨) ، (حرف) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٥٣ وما بعدها) ، الصاحبي (٥٧) .
٤ تفسير الطبري (١/٢٣) .

الخدري ، وأبا طلحة الأنصاري ، وأبا هريرة ، وأبا أيوب ، وجملتهم واحد وعشرون صحابياً على بعض الروايات[1] .

وورد في الحديث ، حديث آخر يرجع سنده الى (ابن عباس) فيه تأييد له ، نصه أن رسول الله قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف » ، وحديث آخر ، نصه : «إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف ،فرددتُ إليه : أن هوّن على أمتي ، فأرسل اليّ : أن اقرأ على حرفين ، فرددت إليه : أن هون على أمتي ، فأرسل إليّ أن أقرأه على سبعة أحرف » ، وحديث ثالث نصه : « إن جبريل وميكائيل أتياني ، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري ؛ فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف » ، « وفي حديث أبي بكرة عنه : فنظرت الى ميكائيل فسكت . فعلمت أنه قد انتهت العدة »[2] . وهناك أحاديث أخرى بهذا المعنى[3] .

ونجد في كتب التفسير والحديث والأخبار أحاديث وأقوالاً تشير الى أن بعض الصحابة كانوا يقرأون قراءات متباينة وكانوا يتعززون بقراءتهم ويتمسكون بها ، ومنهم من كان يقرأها على الرسول فلم يعترض عليها ، بل روى أنه قال : « اقرأوا كما علمتم »[4] . وروى أنه « جاء رجل الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : أقرأني عبدالله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أُبيّ بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وعليٌّ الى جنبه ، فقال عليّ : ليقرأ كل إنسان بما عَلِمَ كلٌّ حسن جميل » . ورووا على لسان عمر بن الخطاب قوله : « سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يُقْرِئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلّم . فلما سلّم ، لببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ قال : أقرأنيها

---

١ السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن (١/١٣١) .
٢ السيوطي ، الاتقان (١/١٣١ وما بعدها) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٥٤) .
٣ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٣٢ وما بعدها) .
٤ تفسير الطبري (١/٩) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : كذبت ، فـوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها . فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هـذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتني سورة الفرقان ! قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر . اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا عمر . فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منها »[1] . وكالذي ذكروه من أن رجلاً قرأ عند (عمر) فغير عليه ، « فقال : لقد قرأت عـلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يغير عليّ . فاختصما عند النبي صلى الله عليـه وسلم . فقال : يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى .. فوقع في صدر عمر شيء . فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك في وجهه .. فضرب صدره. وقال : أبعد شيطاناً ! قالها ثلاثاً . ثم قال : يا عمر : إن القرآن كله صواب، ما لم تجعل رحمة عذاباً ، أو عذاباً رحمة »[2] .

وروي « أن رجلين اختصما في آية من القرآن وكلّ يزعم أن النبي صلى الله عليـه وسلم أقرأه ، فتقارأا الى أُبيّ فخالفهما أُبيّ فتقارأوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن وكلّنا يزعم أنك أقرأته ! فقال لأحدهما : اقرأ ، قال : فقرأ ، فقال : أصبت . وقال للآخر : اقرأ ، فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه ، فقال : أصبت . وقال لأبيّ : اقرأ ، فخالفهما. فقـال : أصبت . قال أُبيّ : فدخلني من الشك في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دخل فيّ من أمر الجاهلية . قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي في وجهي ، فرفع يده فضرب صدري ، وقال : استعذ بالله من الشيطان الرجيم . قال : ففِضتُ عرقاً ، وكأني أنظر الى الله فَرَقاً ،وقال:

---

١ تفسير الطبري (١/١٠) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٢ وما بعدها) ، الاصابة (٣/٥٧١) ، (٣/٥٧١) ، (رقم ٨٩٦٥) .

٢ تفسير الطبري (١/١٠) .

إنه أتاني آت من ربّي ، فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : ربّ ، خفف عن أمّتي . قال : ثم جاء ، فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلتُ : رب خفف عن أمّتي . قال : ثم جاء الثالثة ، فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد.فقلت: رب خفف عن أمّتي . قال : ثم جاءني الرابعة ، فقال إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردةٍ مسألة الخ »[1] .

ورُوي عن زيد بن وهب ، قال : أتيت ابن مسعود استقرئه آية من كتاب الله ، فأقرأنيها كذا وكذا . فقلت : إن عمر أقرأني كذا وكذا خلاف ما قرأها عبدالله . قال : فبكى حتى رأيت دموعه خلال الحصى ، ثم قال : إقرأها كما أقرأك عمر ، فوالله لهي أبين من طريق السيلحين[2] .

وأورد العلماء أحاديث أخرى بهذا المعنى ، تظهر كلها وقوع الخلاف بين الصحابة في قراءة القرآن ، وعلم الرسول به ، وتجويزه لهم القراءة بقراءتهم كل إنسان بما علم[3] .

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال . جمعها القرطبي على خمسة وثلاثين قولاً[4] ، وجعلها (السيوطي) على نحو أربعين قولاً[5] ، تحدث هو وغيره عنها ، والحديث عنها في هذا الكتاب يخرجنا من حدود بحثنا المرسومة ، وهو التأريخ الجاهلي ، لذلك فسوف لا أتكلم في هذا المكان إلاّ عن الأقوال التي عينت تلك الأحرف ونصت على أسمائها بالنص والتعيين، فأقول :

قد رأينا الأحاديث المذكورة والأخبار المروية ، وهي عامة ، لم تنص على أن المراد من الأحرف السبعة حرفاً معيناً ، ولساناً خاصاً من ألسنة العرب ، غير أننا نجد أخباراً ، نصت على تلك الأحرف وعينتها وشخصتها ، إذا تتبعنا سندها

---

١ تفسير الطبري (١/١٤) .
٢ ابن سعد (١/٢٧٠) ،
٣ تفسير الطبري (١/٩ وما بعدها) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٥٥ وما بعدها) .
٤ ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٤ وما بعدها) ، السيوطي ، الاتقان (١/١٣٨) .
٥ السيوطي ، الاتقان (١/١٣١) .

ورجالها نجدها تنتهي بـ (ابن عباس) . وأكثر القائلين بها هم من علماء العربية مثل (أبو عبيد) و (أبو عمرو بن العلاء) وثعلب ، والأزهري ، وسند هذه الأخبار (الكلبي) عن (أبي صالح) عن (ابن عباس) ، أو عن (قتادة) عن ابن عباس ، وأمثال ذلك من طرق . فقد ورد عن (ابن عباس) قوله : نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، قال أبو عبيد : والعجز ، هم بنو سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهؤلاء كلهم من هوازن . ويقال لهم : عليا هوازن . ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم ، يعني بني دارم[1] ، « وأخرج أبو عبيد من وجه آخر ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلغة الكعبين : كعب قريش وكعب خُزاعة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لأن الدار واحدة ، يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش ، فسهلت عليهم لغتهم »[2] .

« وقال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش وهُذيل ، وتميم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر »[3] . وذكر بعض آخر أنه نزل بلغة قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن[4] وسعد بن بكر ، هم من عليا هوازن[5] . ومعنى هـذا أنه نزل بلغات عدنانية ولغات قحطانية ، أي بجميع ألسن العرب .

وقد تعرض (الطبري) للأقوال المذكورة ، فقال : « وروى جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقلـه ، وذلك أن الذي روي عنه أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن : الكلبي عن أبي صالح ، وأن الذي روي عنه أن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة : قتادة ، وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه »[6] . وقـد ضعف (ابن الكلبي) ، ورفض علماء

---

١ تفسير الطبري (١/٢٣) ، ابن كثير ، فضائل القرآن (٦٧) ، السيوطي ، الاتقان (١/١٣٥) ، الصاحبي (٥٧) .
٢ تفسير الطبري (١/٢٣) ، السيوطي ، الاتقان (١/١٣٥) .
٣ السيوطي ، الاتقان (١/١٣٥) .
٤ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٧٣) .
٥ المزهر (١/٢١٠ وما بعدها) .
٦ تفسير الطبري (١/٢٣) .

الفقه والحديث الأخـــذ عنه[1] .. وضعف (أبو صالح) كذلك واتهم بالكذب : « قال ابن معين : إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء[2] » .

وأما (قتادة) ، فذكر (الطبري) عنه أنه لم يلق (ابن عباس) ، ولم يسمع منه[3] فحديثه عن ابن عباس إذن مما لا يجوز الأخذ به . فروايته : « نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة » ، رواية لا يعتمد عليها لهذا السبب . ولقتادة رواية أخرى بهذا المعنى نسبها الى (أبي الأسود الدؤلي) ، زعم أنه قال : « نزل القرآن بلسان الكعبين : كعب بن عمرو ، وكعب بن لُؤي » . وقد علق (خالد ابن سلمة) على هذا الكلام فقال : « ألا تعجب من هذا الأعمى يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبين؟ وإنما نزل بلسان قريش » . قال مخاطباً به (سعد بن ابراهيم)[4]. وقد رمي قتادة بالتدليس[5] .

وينتهي سند هذا الحديث: « أنزل القرآن على سبعة أحرف » الى (أبي هريرة)[6]، وقد كثر القول عن أبي هريرة ، وأكـــثر (أبو هريرة) الحديث عن رسول الله ، حتى قال الناس أكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ، وكان يقـول لهم : « اني كنت امرءاً مسكيناً ، أصحب رسول الله صلى الله عليـه وسلم على ملء بطني . وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام عـــلى أموالهم » ، وذكر أن مسند « تقي بن مخلد ، احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلثمائة حديث وكسر »[7] ؛ وقد يكون بعض مـــا أسند اليه مما أكثر عليه ، أكثره عليه من جاء بعده ، ثم إن علينا نقد حديثه ، فليس هو بمشرع ولا معصوم ، حتى نقبل منه كل ما روي عنـه[8] . بل روي أن (عمر بن الخطاب) قال له : « أكثرت يا أبا هريرة من الرواية ، وأحر

---

١ ميزان الاعتدال (٣/٢٥٦) ، لسان الميزان (٦/١٩٦) .
٢ ميزان الاعتدال (١/١٣٧ وما بعدها) .
٣ وقد تحدثت عنه بالمناسبة في بحث « موارد تأريخ الطبري » المنشور في مجلدات مجلة المجمع العلمي العراقي ، تفسير الطبري (١/٢٣) .
٤ تفسير الطبري (١/٢٣) .
٥ ميزان الاعتدال (٢/٣٤٥) .
٦ تفسير الطبري (١/٩ وما بعدها) .
٧ الاصابة (٤/٢٠٢) ، (رقم ١١٩٠) .
٨ محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية ، وكتابه شيخ المضيرة .

بك أن تكون كاذباً على رسول الله . ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه الى بلاده .

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس »[1] .

وهناك رأي ثالث يقول إنه نزل بلغة مضر ، لقول (عمر) : نزل القرآن بلغة مضر وعيّن بعضُهم — فيما حكاه — ابن عبد البرّ السبع من مضر ، أنهم هذيل ، وكنانة ، وقيس ، وضبّة ، وتيم الرباب ، وأسد بن خزيمة، وقريش. فهذه قبائل مضر ، تستوعب سبع لغات »[2] . وذكر أن (عمر) لما أراد « أن يكتب الإمام ، أقعد له نفراً من أصحابه ، وقال : إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر »[3] . ولما كانت القبائل المذكورة من مجموعة (مضر) ، تكون لغة القرآن ، وفقاً لهذا الرأي لغة مضر ، لا لغة قريش ، وروي عن (عبدالله بن مسعود) ، أنه كان يستحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر[4] .

وعندنا أخبار أخرى تفيد أن القرآن إنما أنزل بلغة قريش . من ذلك ما روي من قول عمر : « لا يملينّ في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش ، أو غلمان ثقيف »[5] وفسروا ذلك بأنه يعني أن القرآن إنما نزل بلغة قريش . وما روي من قول (عثمان) للرهط القرشيين الذين أوكل اليهم جمع القرآن وكتابته : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما أنزل بلسانهم . ففعلوا »[6] ، وما روي عنه أيضاً ، من أنه لما استفتي في اختلاف

---

١ أضواء على السنة المحمدية (٢٠٠ وما بعدها) .
٢ السيوطي ، الاتقان (١٣٦/١) .
٣ ابن كثير ، فضائل القرآن (٢٠) .
٤ الصاحبي (٥٧) .
٥ ابن كثير ، فضائل القرآن (٢٠) ، « وقال عمر : لا يملين في مصاحفنا الا غلمان قريش وثقيف » ، الصاحبي (٥٧ وما بعدها) ، السجستاني ، المصاحف (١١) ، السيوطي ، اتقان (٥٩/١) .
٦ ابن كثير ، فضائل القرآن (٣١) ، (اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن ، فاكتبوها بلسان قريش ، فان القرآن أنزل بلسانهم » ، المصاحف (٢٠) .

(زيد) مع الرهط في كتابة (التابوت) أيكتبونه بالتاء أو الهاء ، وقال الثلاثة القرشيون إنما هو التابوت ، وقال زيد إنما هو التابوه ، قال : « اكتبوه بلغة قريش ، فإن القرآن نزل بلغتهم »[1] ، وما روي عنه أيضاً من قوله للرهط الذين أمرهم بكتابة القرآن : « إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن ، فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن نزل بلسانهم ففعلوا »[2] .

واستنكر (ابن قتيبة) قول من قال إن القرآن نزل بلغات أخرى ، فقال : « لم ينزل القرآن إلاّ بلغة قريش » ، واحتج بالآية : « وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه »[3] . واحتج آخرون بقول (عمر) لعبدالله بن مسعود : « إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقرىء الناس بلغة قريش »[4] .

وروي في (البخاري) ، أن القرآن نزل بلسان قريش والعرب . وقريش خلاصة العرب[5] . وذكر بعض العلماء أنه نزل « بلغة الحجازيين إلاّ قليلاً ، فإنه نزل بلغة التميميين كالإدغام في : ومن يشاقّ الله ، وفي : ومن يرتد منكم عن دينه ؛ فإن ادغام المجزوم لغة تميم،ولهذا قل ، والفك لغة الحجاز ولهذا كثر »[6].

وذكر بعض العلماء « إن في القرآن من أربعين لغة عربية وهي : قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ، وألخزرج ، وأشعر ، ونمير ، وقيس عيلان ، وجرهم ، واليمن ، وأزد شنوءة ، وكندة ، وتميم ، وحمير ، ومدين ، ولخم ، وسعد العشيرة ، وحضرموت ، وسدوس ، والعمالقة ، وأنمار ، وغسان ، ومذحج ، وخُزاعة ، وغطفان ، وسبأ ، وعمان ، وبنو حنيفة ، وثعلب ، وطيء ، وعامر ابن صعصعة ، وأوس ، ومزينة ، وثقيف ، وجذام ، وبليّ ، وعذرة ، وهوازن ، والنمر ، واليمامة[7] .

---

١ ابن كثير ، فضائل القرآن (٣٥) ، تفسير النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٤/١) ، (حاشية على تفسير الطبري) .
٢ ابن كثير ، فضائل القرآن (١٩) ، ارشاد الساري (٨/٦ وما بعدها) .
٣ السيوطي ، الاتقان (١٣٥/١) .
٤ الفائق (١١٣/٢) .
٥ ابن كثير ، فضائل القرآن (١٩/١ وما بعدها) .
٦ السيوطي ، الاتقان (١٠٣/٢) .
٧ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٧٤) ، السيوطي ، الاتقان (١٠٢/٢) ، الصاحبي (٥٨ وما بعدها) .

وذكروا أن مما وقع في القرآن من غير العربية : الفرس ، والروم ، والنبط ، والحبشة ، والبربر ، والسريانية ، والعبرانية ، والقبط[1] .

وقال بعض العلماء : « انزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف أحد منهم الإنتقال عن لغته الى لغة أخرى للمشقة ، ولما كان فيهم من الحميّة ، ولطلب تسهيل فهم المراد »[2].

وذهب (الباقلاني) الى أن « معنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش ، أي معظمه ، ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى : قرآناً عربياً ، ولم يقل قرشياً ، قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً يعني حجازها ويمنها ، وكذا قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، قال : لأن لغة غير قريش موجودة في صحيح القراءات كتحقيق الهمزات فإن قريشاً لا تهمز ، وقال ابن عطية : قال ابن عباس : ما كنت أدري معنى فاطر السماوات والأرض ، حتى سمعت أعرابياً يقول لبئر ابتدأ حفرها : أنا فطرتها »[3] .

وسند القائلين : ان القرآن نزل بلسان قريش ، كون الرسول من مكة ، ومكة موطن قريش . فلا بد من نزول كتاب الله بلسانهم ، ليكون حجة عليهم واعجازاً لفصحائهم ، ودليل ذلك قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »[4] ، فعلى هذا تكون لغة القرآن لغة قريش[5] ، ولما جاء في الأخبار التي رويت عن (عمر) و (عثمان) من أنه نزل بلسان قريش .

ومن حججهم أيضاً مما رووه عن (أبي عبيد الله) من قوله : « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة . وذلك أن الله — جل ثناؤه — اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجعل قريشاً قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته . فكانت وفود العرب من

---

١ السيوطي ، الاتقان (١/١٠٢) ، الصاحبي (٦١) .
٢ السيوطي ، الاتقان (١/١٣٦) .
٣ ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٧) .
٤ سورة ابراهيم ، الآية ٤ .
٥ السيوطي ، الاتقان (١/١٣٥) .

حجّاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش في أمورهم. وكانت قريش تعلّمهم مناسكهم وتحكم بينهم. ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم، وتسميها أهل الله، لأنهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام، ولم تشبهم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة، فضيلة من الله جـل ثناؤه، لهم وتشريفاً، إذ جعلهم رهط نبيّه الأدنين وعترته الصالحين. وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقـة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغـات الى نحائزهم وسلائقهم التي طُبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب. ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس »[1].

وروي عن (قتادة) قوله : « كانت قريش تجتبي، أي تختار، أفضل لغات العرب، حتى صار أفضل لغاتهم لغتهم، فنزل القرآن بها »[2].

ثم إنها كانت بعيدة عن الأعاجم، فصان بعدهـا عنهم لسانها عن الفساد، وحفظها من التأثر بأساليب العجم، حتى إن سائر العرب على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية[3].

ولكننا نجد خـبراً يذكر أن (عثمان) قال للرهط الذين أمرهم بجمع القرآن وكتابته : « اجعلوا المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف »[4]، وليست هذيل ولا ثقيف من قريش. ونجد خبراً آخر يذكر أنه كانت غمغمة في لغة قريش، والغمغمة من اللغات الرديئة التي أخذها علماء اللغة على اللغات العربية الأخرى[5]، فكيف تتفق الغمغمة مع ما ذكروه من صفاء ونقاء وسهولة وبيان لغـة قريش ! ثم نجد خبراً يذكر أن الخليفة (أبو بكر)، لما همّ بجمع القرآن، بعد إلحاح

---

١ الصاحبي (٥٢ وما بعدها)، (باب القول في أفصح العرب)، المزهر (١/٢١٠)، غريب القرآن (١/١٠).

٢ اللسان (٢/٧٧)، (١/٥٨٨)، (صادر)، (عرب).

٣ مقدمة ابن خلدون، الفصل الثامن والثلاثون من القسم السادس، الهلال، السنة ٢٦، (اكتوبر ١٩١٧ م)، (١/٤٣).

٤ الصاحبي (٥٨).

٥ تاج العروس (٩/٦)، (غمم).

(عمر) عليه بذلك، « أجلس خمسة وعشرين رجلاً من قريش، وخمسين رجلا من الأنصار، وقال: اكتبوا القرآن، واعرضوا على سعيد بن العاص، فإنه رجل فصيح »[1]، ولو كان القرآن قد نزل بلغة قريش، لما اختار هذا العدد الكثير من الأنصار، وهم من غير قريش، ومن منافسي مكة في الجاهلية والاسلام، إن صح هذا الخبر، الذي أشك في صحته.

ثم نجد خبراً آخر يناقض الخبر المتقدم، يقول: « لما كُتبت المصاحف عُرضت على عثمان، فوجد فيها حروفاً من اللحن، فقال: لا تغيّروها؛ فإن العرب ستغيرها - أو قال ستعربها - بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل، لم توجد فيه هذه الحروف »[2]. وهو خبر أشك في صحته، وللعلماء فيه آراء.

وأما ما قالوه من اختلاف (زيد) مع النفر القرشيين الذين أشركوا معه في جمع القرآن من كتابة (التابوت) بالتاء أو بالهاء، وكان من رأيه كتابتها (التابوه)، ومن رأي (عثمان) (التابوت)[3]، فقد ذكر العلماء أن (التابوه) لغة في التابوت أنصارية[4]. واللفظة هي من المعربات، أخذها الأنصار من العبرانية، فهي عندهم (ت ب ه) (ط ب ه) « Tebh » « Teba » بمعنى صندوق[5]. وقد كتبت في القرآن بالتاء. وقد وردت اللفظة في سورة (طه)، وهي مكية[6]، ووردت في سورة البقرة وهي مدنية[7].

وأقرب الأقوال المذكورة الى المنطق، هو قول من قال إنه نزل بلسان عربي وكفى. فاسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً، يعني حجازها ويمنها وكل مكان آخر من جزيرة العرب[8]، ثم ما بالنا نفسر ونؤول، ونلف وندور في تفسير: « أنزل القرآن على سبعة أحرف »، وهو حديث، روي بروايات

---

١ اليعقوبي (١/١٢٥)، (خلافة أبي بكر).
٢ السيوطي، الاتقان (٢/٢٧٠).
٣ الزينة (١/١٤٦).
٤ تاج العروس (١/٥٣٢)، (تبت).
٥ غرائب اللغة (٢١١).
٦ السورة رقم ٢٠، الآية ٣٩.
٧ السورة رقم ٢، الآية ٢٤٨.
٨ ابن كثير، فضائل القرآن (٧٧).

تحتاج الى نقد ، وفيها ضعف ، وأخبار ضعيفة ، لا تقف على قدميها ، ثم نترك كتاب الله القائل : « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين »[1] ، و « هذا لسان عربي مبين »[2] و « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »[3] ، و « كذلك أنزلناه حكماً عربياً »[4] ، و « كذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد »[5] ، و « قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون »[6] ، و « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون »[7] ، و « كذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً »[8] ، و « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »[9] ، « وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا »[10] ، ولم يقل قرشياً[11] ، ولو نزل بلغة قريش لما سكت الله تعالى عن ذلك ، لما في التنويه بلسانهم إن كان أفصح ألسنة العرب من حجة على العرب في فصاحته وبيانه وكونه معجزة بالنسبة لقريش ، أفصح الناس وألسنهم ، وليس بكلام العرب عامة الذين هم على حدّ قول أهل الأخبار دون قريش في اللغة والكلام .

وما آية : « وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبين لهم »[12] ، إلا دليلاً وحجة على نزول القرآن بلسان العرب ، لا بلسان قريش ، أو بلسان قبيلة معينة ، أو قبائل خاصة . فالآية تقول : « ما أرسلنا الى أمة من الأمم يا محمد من قبلك ومن قبل قومك رسولاً إلا بلسان الأمة التي أرسلناه اليه ولغتهم ، ليبين لهم . يقول : ليفهمهم ما أرسله الله اليهم من أمره ونهيه وليثبت حجة الله عليهم

---

١ الشعراء ، الرقم ٢٦ ، الآية ١٩٥ .
٢ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ١٠٣ .
٣ يوسف ، الرقم ١٢ ، الآية ٢ .
٤ الرعد ، الرقم ١٣ ، الاية ٣٧ .
٥ طه ، الرقم ٢٠ ، الاية ١١٣ .
٦ الزمر ، الاية ٢٨ .
٧ فصلت ، الرقم ٤١ ، الاية ٣ .
٨ الشورى ، الرقم ٤٢ ، الاية ٧ .
٩ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الاية ٣ .
١٠ الاحقاف ، الرقم ٤٦ ، الاية ١٢ .
١١ ابن كثير ، فضائل القرآن (٧٧) .
١٢ سورة ابراهيم ، الاية ٤ .

ثم التوفيق والخذلان بيد الله »[1] . ولما كان النبي عربياً ، وقد نعت في القرآن بأنه « النبي الأمي »[2] ، الذي أرسله الله الى الأميين ، « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم »[3] ، والأميون هم العرب ، العرب كلهم ، ولما كان الله قد أرسله الى قومه العرب ، وجب أن يكون الوحي بلسانهم المفهوم بينهم ، بلسان طائفة منهم ، يؤيد ذلك ما ورد في القرآن الكريم نفسه من أنه نزل بلسان عربي مبين . « قال الأزهري : وجعل الله ، عز وجل ، القرآن المنزل على النبي المرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، عربياً ، لأنه نسبه الى العرب الذين أنزله بلسانهم ، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب ، في باديتها وقراها ، العربية ، وجعل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عربياً لأنه من صريح العرب »[4] . وقال (ابن خلدون) : « إن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه »[5] . وقال (الطبري) في تفسيره للآية : « انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »[6] ، « يقول تعالى ذكره : انا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآناً عربياً على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربي ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه . وذلك قوله عزّ وجلّ لعلكم تعقلون »[7] .

« قال ابن أبي داود في المصاحف : حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز : أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن[8] . ونعت أنه كان أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة » وفي هذه الاشارة دلالة على أن لهجة الرسول ، لم تكن لهجة عامة قريش ، وإنما كانت بالعربية التي نزل بها القرآن ، ولهذا نص على أن لهجة (سعيد) كانت

---

١ تفسير الطبري (١٣/١٢١) .
٢ الأعراف ، الآية ١٥٧ وما بعدها .
٣ الجمعة ، الرقم ٦٢ ، الآية ٢ .
٤ اللسان (١/٥٨٨) ، (عرب) .
٥ المقدمة (٣٦٧) ، (١٩٣٠ م) .
٦ سورة يوسف ، الآية ٢ .
٧ تفسير الطبري (١٢/٨٩) .
٨ الاصابة (٢/٤٥) ، (رقم ٣٢٦٨) .

مشابهة للهجة الرسول ، وكان من أفصح رجال قريش ، ولو كانت عربية القرآن عربية قريش ، لما كان هنالك معنى لقولهم : إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ، إذ لو كانت عربية القرآن عربية قريش ، لنص عليها ، ثم لكان في وسع أي رجل كاتب من قريش ، تدوينه ، لفصاحة قريش ، ولكن سعيداً كان من فصحاء قريش ، لأنه كان يتكلم بعربية فصيحة ، هي العربية التي نزل بها القرآن ، والتي عرف فصحاء قريش فصاحتها ، فاعترفوا لذلك بنزوله بأفصح لغة وأبين بيان .

وقد ذهب (نولدكه) الى أن القول بنزول القرآن بلسان قريش ، إنما ظهر في العصر الأموي ، لإظهار عصبيته منها على الأنصار . ونظراً لكون القرآن كتاب الله فلادعاء نزوله بلغة قريش أهمية كبيرة بالنسبة لهم ، ولتأييد سياستهم المناهضة للأنصار وللقحطانيين[1] .

ويلفت حديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » النظر إليه حقاً ، فقد حصر القراءات في (سبعة أحرف) . والأحرف الألسنة ، مع أن العلماء يذكرون أن في القرآن من كل لغة ، وأن فيه خمسين لغة[2] . فإذا كان فيه هذا العدد أو نحوه ، فما بال هذا الحديث يحصرها في سبعة فقط لا تزيد ولا تنقص وهي أحرف ثبتها العلماء ونصوا على أسمائها نصاً . هل أخذوا هذا الحديث من (السبع المثاني) في القرآن الكريم ، من قوله : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم »[3]. أو أخذوه من عدد سبعة الذي يرد في مواضع عديدة من القرآن الكريم ؟ مثل سبع سماوات[4] ، وسبع سنابل[5] ، وسبع سنبلات[6] ، وسبع بقرات[7] ، وسبع سنين[8] ،

---

١ ولفنسون ، السامية (٢٠٧) ،

٢ « وقال أبو بكر الواسطي في كتابه : الارشاد في القراءات العشر : في القرآن من اللغات خمسون لغة : لغة قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ، والخزرج ... الخ »، السيوطي ، الاتقان (١٠٢/٢) .

٣ الحجر ، الرقم ١٥ ، الآية ٨٧ ، تفسير الطبري (٣٥/١٤ وما بعدها) .

٤ البقرة ، الآية ٢٩ .

٥ البقرة ، الآية ٢٦١ .

٦ يوسف ، الآية ٤٣ .

٧ يوسف ، الآية ٤٣ .

٨ يوسف ، الآية ٤٧ .

وسبع شداد[1] ، والسماوات السبع[2] ، وسبع ليـــال[3] ، وسبعاً شداداً[4] ، وسبعة أبواب[5] ، وسبعـــة أبحر[6] ، والعدد سبعة هو عدد الأيام التي أتم الله فيها الخلق كله ، وعدد أيام الاسبوع ، ونحو ذلك . والعدد سبعة عدد لعب دوراً خطيراً عند الشعوب القديمة ، فالأرض سبع طبقات ، والسموات سبع طبـــاق ، وأنغام الموسيقى سبعة ، والعدد سبعة عدد مقدس ، لعب دوراً في الرياضيات القديمة وفي نظريات (فيثاغورس) ، وعيون الشعر الجاهلي هي سبعة ، هي القصائـــد السبع الطوال ، أو المعلقات السبع ، فهل اقتصر الحديث على هذا العدد لسبب من هذه الأسباب أو ما شابهها ، من أسباب ؟

وقد ذهب بعض العلماء الى أن العدد سبعة لا يمثل حقيقة العـــدد ، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة . ولفظ (السبعة) يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين ، ولا يراد العدد المعين . ويرده ما في كتب الحديث والأخبار من النص على العدد سبعة بصورة لا تقبـــل الشك في أن المراد منه حقيقـــة العدد وانحصاره ، ثم تعيين هذه الكتب اللهجات السبـــع بالأسماء[7] ، وقد ألف (الصفدي) كتاباً في عدد السبعة ، سماه (عين النبع على طرد السبع) قال فيه إن السبعة جمعت العدد كله ، وهذا العدد يمثـل الكمال ، فأنا لا استبعد أن يكون هذا الحديث قد جاء من هذه الفكرة[8] .

القراءات السبع :

ومن الأحرف السبعة ظهرت نظرية القراءات السبع ، القراءات المعتبرة المعتمدة عند القراء ، وهي ترجع الى أئمة ارتبطت القراءات بأسمائهم ، وعليها يقتصر في

---

١ يوسف ، الآية ٤٨ .
٢ الاسراء ، الآية ٤٤ ، المؤمنون الآية ٨٦ ، فصلت ، الآية ١٢ ، الملك ، الآية ٣ ، نوح ، الآية ١٥ .
٣ الحاقة ، الآية ٧ .
٤ النبأ ، الآية ١٢ .
٥ الحجر ، الآية ٤٤ .
٦ لقمان ، الآية ٢٧ .
٧ السيوطي ، الاتقان (١/١٣١ وما بعدها) .
٨ الرافعي (٢/٥٤) .

القراءات . وهي نتيجة تطور سابق لقرّاء سبقوا هؤلاء الأئمة الذين اعتمد عليهم في القراءات[1] ، وعلى قراءاتهم يقرأ من يستحق لقب (مقرىء) أو (قارىء)[2] ، وإن كانت هنالك روايات تزيد بعض الزيادات على هذه القراءات .

ولأجل تكوين فكرة علمية صحيحة عن هذه الأخبار وعن درجة سعة هـذا الاختلاف ومقدارها وما يجب أن يقال فيها ، لا بد من نقـد كل ما ورد في هذا الباب من حديث وروايات ، وغربلته غربلة دقيقة . وتكون أول هذه الغربلة في نظري بنقد سلسلة رجال السند ، أي الرواة ، لمعرفة الروابط التي كانت تربط بينهم وصلة بعضهم ببعض وملاقاتهم ، وما قيل وورد فيهم ؛ إذ نسبت أحاديث الى أشخاص قيل إنهم رووها عن أناس ثقات ، ثبت من النقد أن بعض رجال السند لم يلتقوا في حياتهم بمن حدثوا عنهم كما في حديث قتادة عن ابن عباس ، أو أنهم رووا ما رووه تسرعاً وبدون سند أو إجازة لمجرد سماعهم برواية أولئك الأشخاص لتلك الروايات[3] .

ثم إن هذا النقد لا يكفي وحده ، بل لا بد من نقد متن الحديث من حيث لغته وأسلوبه ومضمونه وروحه ، ومن حيث انطباق بعض الروايات على جوهر القرآن الكريم وما عرف عن الرسول . فبهذا النقد للمتن ، نتمكن من الحكم على إمكان صدور الحديث عن الرسول أو عدمه .

وبعد كلّ ما تقدم ، علينا حصر أمثلة الاختلاف التي ذكرها العلماء ، وضبط كل ما ورد في الأخبار من هذا القبيل ، لنتمكن من الحكم على مقدار ما اختلف فيه وسعته ودرجة موافقته لما جاء في ذلك الحديث وفي تلك الأخبار ، ثم دراسة هذه الكلمات التي قيل انها تمثل لهجات قبائل وانها حرف من هذه الأحرف السبعة المذكورة في الحديث .

لقد لخص (ابن قتيبة) الأحرف السبعة بالأوجه التي يقع بها التغاير :

فأولها : ما تتغير حركته ، ولا يزول معناه ولا صورته ، مثل : ولا يضار كاتبٌ بفتح الراء وضمها .

---

١ ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله (١٢١) ، النشر (٣١/١ وما بعدها) .
٢ كولدزيهر ، المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن (٣٧) .
٣ تفسير الطبري (٢٣/١) ، (٧٢/٢٥) ، المذاهب الاسلامية (٨١ وما بعدها) .

وثانيها : ما يتغير بالفعل مثل بَعّدَ وباعد ، بلفظ الطلب والماضي .

وثالثها : ما يتغير باللفظ مثل : نُنشزها ونُنْشرها بالراء المهملة .

رابعها : ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل طلح منضود وطلع منضود .

خامسها : ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل:وجاءت سكرة الموت بالحق، وجاءت سكرة الحق بالموت .

وسادسها : مـــا يتغير بالزيادة والنقصان ، مثل : وما خلق الذكر والأنثى ، والذكر والأنثى ، بنقص لفظ ما خلق .

سابعها : ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى ، مثل : كالعهن المنفوش،وكالصوف المنفوش[1].

وأجمل (ابن الجزري) الأوجه السبعة بـ :

١ ــ وذلك إما في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو : البخل بأربعة أوجه ، ويحسب بوجهين .

٢ ــ أو بتغير في المعنى فقط نحو : فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ ، برفع آدم ونصب لفظ كلمات وبالعكس .

٣ ــ واما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو : تبلو ، وتتلو .

٤ ــ وعكس ذلك ، نحو بصطة وبسطة ، ونحو الصراط والسراط .

٥ ــ أو بتغيرهما نحو فامضوا ، فاسعوا .

٦ ــ وإما في التقديم والتأخير ، نحو فيقتلون ، ويقتلون ، بفتح ياء المضارعة مع بناء الفعل للفاعل في إحدى الكلمتين،وبضمها مع بناء الفعل للمفعول في الكلمة الأخرى .

٧ ــ أو في الزيادة والنقصان .

وقد أوجز (أبو الفضل) الرازي ، الحروف السبعة في :

١ ــ اختلاف الأسماء من إفراد ، وتثنية ، وجمع ، وتـذكير ، وتأنيث . مثل : والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، قرىء هكـــذا جمعاً ، وقرىء لأمانتهم بالإفراد .

---

١ الزرقاني ، مناهل (١٥٢) .

٢ ــ اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ، ومضارع ، وأمر . مثل: فقالوا : ربَّنا باعد بين أسفارنا ، قرىء هكذا بنصب لفظ ربنا على أنه منادى ، وبلفظ باعد فعل أمر ، وبعبارة أنسب بالمقام فعل دعاء . وقرىء هكذا: ربُّنا بَعَّد برفع رب على أنه مبتدأ وبلفظ بعَّد ، فعلاً ماضياً مضعف العين جملته خبر .

٣ ــ اختلاف وجوه الإعراب . مثل : ولا يُضارَّ كاتب ولا شهيدٌ . قرىء بفتح الراء وضمهـا ، فالفتح على أن لا ناهية ، فالفعل مجزوم بعدها ، والفتحة الملحوظة في الراء هي إدغام المثلين . أما الضمّ فعلى أنّ لا نافية ، فالفعل مرفوع بعدها .

٤ ــ الاختلاف بالنقص والزيادة . مثل : وما خلقَ الذكَرَ والأنثى ، قرىء بهذا اللفظ . وقرىء أيضاً والذكَرِ والأنثى ، بنقص كلمة ما خلق .

٥ ــ الاختلاف بالتقديم والتـأخير . مثل : وجاءت سكرة الموت بالحق ، وقرىء : وجاءت سكرة الحق بالموت .

٦ ــ الاختلاف بالإبدال . مثل : وانظر الى العظام كيف ننشزها ، بالزاي، وقرىء ننشرها بالراء . ومثل : وطلح منضود ، بالحاء ، وقرىء طلع بالعين . فلا فرق في هذا الوجه أيضاً بين الاسم والفعل .

٧ ــ اختلاف اللغات ، أي اللهجات ، كالفتح والإمالة ، والترقيق والتفخيم، والإظهار ، والإدغام ونحو ذلك[1] .

ونحن إذا تعمقنا في درس مواضع الاختلاف ، وهي أهم مـا يتصل بلهجة القرآن الكريم ، وسجلناها تسجيلاً دقيقاً شاملاً ، نجد أنها ليست في الواقع اختلافاً في أمور جوهرية تتعلق بالوحي ذاته ، وإنما هي في الغالب مسائل ظهرت بعـد نزول الوحي من خاصية القلم الذي دوّن به القرآن الكريم . فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابه ، والمميز بين الحروف المتشابهة هو النقط ، وقـد ظهر النقط بعد نزول الوحي بأمد كما يقول العلماء ، ثم إنّ هذا القلم كان خاليـاً في بادىء

---

١ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٤٨ وما بعدها) .

أمره من الحركات ، وخلوّ الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة في الضبط من حيث إخراج الكلمة ، أي كيفية النطق بهـا ، ومن حيث مواقع الكلم من الإعراب[1] .

كل هذه الأمور وأمور أخرى تعرض لها العلماء ، أحدثت في الغـالب القسم الأعظم مما يعدّ اختلافاً في القراءات .

ويعود القسم الباقي من مواضع الاختلاف الى سبب أراه لا يتعلق أيضـاً بمتن النص ، وإنما هو ، كما يتبين من الإمعان في دراسته ومن تحليل الآيات المختلف فيها ، زيادات وتعليقات من ذهن الحفّاظ والكتّاب على ما أتصور ، لعدم وضوح المعنى لديهم ، لعلها كانت تفسيراً أو شرحاً لبعض الكلم دوّنت مـع الأصل ، فظنت فيما بعد من الأصل . واثبات التفسير مع المتن ، جائز على بعض الروايات[2].

ويعـود قسم آخر منه الى استعمال كلمات قد تكون مخالفة لكلمة من حيث شكلها ، ولكنها متفقة معها في معناها ، والى استعمال كلمات متباينـة في الشكل وفي المعنى . وهذا القسم هو ، ولا شك ، أهم أقسام الاختلاف ، واليه يجب أن توجه الدراسة .

هذه الأمور المذكورة ، تحصر جميع ما ورد من اختلاف في كلمات أو آيات من القرآن الكريم . أما ما ذكره العلماء من الأوجه التفسيرية للحـديث : حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ومن جعلها خمسة وثلاثين وجهاً أو سبعة أوجـه أو أقل من ذلك أو أكـثر[3] ، فإنها تفاسير متأخرة ، وأوجه نظر قيلت لإيجاد مخارج مسوّغة لتفسير هذا الحديث .

ويصعب في هذا الموضع ذكر أمثلة لهذه الأمور ، فهي عديدة كثيرة ، ذكرت في كتب المصاحف وفي كتب التفسير ، وأورد شواهـد منها (كولد تزيهر) في كتابه عن (المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن) ، يمكن الاطلاع عليها في الصورة

---

١ الهمداني ، الاكليل (١٢٢/٨) ، المذاهب الاسلامية (٤ وما بعدها) .

٢ « جواز اثبات بعض التفسـير على المصحف ، وان لم يعتقده قرآنا » ، المذاهب الاسلامية (١١ وما بعدها) ، الزرقاني على الموطأ (٢٥٥/١) .

٣ النشر (٢١/١ وما بعدها) ، السيوطي ، اتقان (٧٨/١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (١٦/١) .

العربية له المطبوعة بمصر[1] . فمن أمثلة الاختلاف الحادث من الخط (تستكبرون) بالباء الموحدة و (تستكثرون) بالثاء المثلثة في الآية : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم ، قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم ما كنتم تستكبرون»[2]. و (بشراً) أو (نشراً) في الآيـة : « وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته »[3] . وكلمة (إياه) في الآية : « وما كان استغفارُ ابراهيم لأبيـه إلا عن مَوعِدة وعَدَها إيـاه » ، إذ وردت أيضاً (أباه) بالباء الموحدة[4] . وأمثال ذلك مما كان سببه النقط .

وبعد ملاحظة ما تقدم ، وحصر كل ما ورد في المصاحف ومـا قرأه القراء من قراءات ، نجد أن ما يختص منه باللهجات وباللغات قليل يمكن تعيينه،ومعظمه مترادفات في مثل : أرشدنا واهدنا ، والعهن والصوف ، وزقية وصيحة ، وهلم وتعال وأقبل ، وعجل وأسرع[5] ، والظالم والفاجر ، وعتى وحتى[6] ، وأمثال ذلك . وهذه الأمثلة هي كلمات مختلفة لفظاً ، ولكنها في معنى واحـد . وهي كما ترى مفردات لا دخل لها في قواعد اللهجات .

وأما الاختلاف في الاظهار ، والإدغام ، والإشمام ، والتفخيم ، والترقيق ، والمدّ ، والقصر ، والإمالة ، والفتح ، والتحقيق ، والتسهيل ، والإبدال . فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى ؛ لأن هذه الصفات المتنوعـة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً[7] ، وليس هو من قبيل الإختلاف المؤثر في قواعد اللهجة ، إنمـا هو اختلاف في الصور الظاهرة لمخارج حروف الكلمات، فلا يصح أن يعد فارقاً كبيراً يمكن أن يكون حداً يفصل بين اللهجات، بحيث يصيّرها لغة من اللغات،ثم إن بعضه يعود الى الخط ، وبعضه الى التجويد،

---

١ (القاهرة ١٩٤٤ م) ، (علي حسن عبدالقادر) .
٢ الأعراف ، آية ٤٨ .
٣ الأعراف ، آية ٥٧ .
٤ التوبة ، آية ١١٤ .
٥ النشر (١/٢٩ وما بعدها) ، القرطبي (١/١٦) ، السيوطي ، اتقان (١/٧٩ وما بعدها) .
٦ مباني (٩) ، Noldeke, Geschichte, I, 51.
٧ النشر (١/٢٦ وما بعدها) .

أي طريقة التلاوة والأداء[1] .

وللحكم على أصل المترادفات ، تجب مراجعة سلسلة السند للوصول الى صحة تسلسل الأخبار من جهة ، والى معرفة راوي الخبر والقبيلة التي هو منهـا لمعرفة القراءة التي قرأها ، وهل هي من لهجة قبيلته ، أم هي مجرد كلمة من اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم نفسها ، تلقّاها القارىء عـلى الشكل الذي رواها في قراءته .

لقد أشار العلماء الى أمثلـة من كلمات غير قرشية وردت في القرآن الكريم ، ذكروا أنها من لهجات أخرى ، ومنها : الأرائك ، ولا وَزَرَ ، و (حور) ، وأمثال ذلك رجع بعضهم أصولها الى خمسين لهجة من لهجات القبائل ، كما أشاروا الى وجود كلمات معربـة أخذت من لغات أعجمية مثل الرومية ، والفارسية ، والنبطية ، والحبشية ، والسريانية ، والعبرانية وأمثـال ذلك[2] ، وألّفوا في ذلك كتباً ، منها : كتاب لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة (٢٢٣ هـ) (٨٣٨ م) ، واسمه : « رسالة في مـا ورد في القرآن من لغات القبائل »[3] ، وكتاب لغات القرآن ، لأبي زيد الأنصاري المتوفى سنة (٢١٤ هـ) (٨٢٩ م)[4] ، وغيرهما . ولكن بحوث هؤلاء العلماء انحصرت في دراسة المفردات ، أي الكلمات لا غير . ثم إن الذين تناولوها لم يكن لهم علم بأكثر اللغات التي رجعوا أصولها اليها ، ولا سيما اللغات الأعجمية مثل الرومية ، والسريانية ، والنبطية ، والحبشية . غير أن من الجائز أن يكون هؤلاء قد سمعوا عنها من الأعاجم الذين دخلوا في الاسلام . ولكن طريقة السماع هذه لا تكفي لإعطاء حكم على أصل لغة ، بـل لا بد من وجود عـلم ومعرفة بقواعد تلك اللغة وتأريخها وتطورها ، والإحاطة بالعلاقات التأريخية بين العرب وغيرهم قبل الإسلام لمعرفة كيفية دخول تلك الكلمات الى العرب ، وإيجاد وجـه صحيح للمقارنة بين اللغتين . وهذا ما لم يحدث في تلك الأيام .

---

١ راجع بعض الامثلة في (ص ٧) من كتاب المصاحف : للسجستاني « تحقيق آرثر جفري » ، (القاهرة ١٩٣٦ م) .

٢ السيوطي ، اتقان (١/٢٢٩ وما بعدها) .

٣ طبع مع كتاب الديريني المسمى (التيسـير في علم التفسـير) ، في القاهرة سنة ١٩١٠ هـ ، ومع تفسير الجلالين المطبوع في القاهرة كذلك سنة ١٣٥٦ هـ .

٤ الفهرست (٥٥) .

ولمّا كانت قراءة عبدالله بن مسعود من القراءات المشهورة المعروفة ، وكان عبدالله بن مسعود من قبيلة هُذيل[1] ، وجب علينا البحث في لهجة هذيل لمعرفة خصائصها ومميزاتها وما انفردت به عن غيرها من اللهجات . وهذيل من القبائل التي عرفت بجودة لهجتها ، في تدوين القرآن الكريم[2] . ولذلك رأى الخليفة عثمان أن يكون المملي من هذيل والكاتب من ثقيف . وقد ذكرت لهجتها في جملة اللهجات التي نص عليها في الحديث المذكور على نحو ما أشرت اليه ، كما أخرجت عدداً من الشعراء جمع بعض العلماء أشعارهم في ديوان ، وقد طبع في القاهرة ديوان شعراء هذيل[3] . ويفيدنا شعر هؤلاء الشعراء بالطبع في الوقوف على لهجة هذه القبيلة . ولكن هذا الشعر هو مثل شعر سائر الشعراء الجاهليين الآخرين ، مصقول مهذب ، هذّب على وفق قواعد اللغة العربية التي ضبطت في الإسلام ، ثم هو مضبوط برواية رواة هم في الأغلب من غير هذيل . ولهذا قلما نجد في شعر هؤلاء الشعراء وغيرهم ما يختلف عن قواعد اللهجة العربية ، حتى أننا لا نستطيع في هذه الحالة أن ندعي ان هذا الشعر هو بلهجة هذيل . وقد حرمنا العقلُ الوقوفَ على لهجات القبائل التي أخرجت أولئك الشعراء ومعرفة مؤثراتها في شعر أولئك الشعراء .

ومن أهم الأمثلة التي أوردها العلماء في قراءة (ابن عباس) مما له علاقة باللهجات ، قراءته كلمة (حتى) (عتى) في الآية : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حين »[4] . وقد ذكر المفسرون وعلماء اللغة أن هذه القراءة هي بلهجة هذيل[5] ، وأن (عتى) هي (حتى) عند هذه القبيلة ؛ ذلك لأن هذه القبيلة تستعمل حرف العين بدلاً من الحاء في لهجتها[6] . ولم يشر

---

١ طبقات ابن سعد (١/١٥) ، (٣/١٠٥) ، عيون الاخبار (٣٧٣) .
Ency., 2, 403, Goldziher, Vorlessungen, S., 65.

٢ الصاحبي (٢٨) ، « وقال عمر : لا يملين في مصاحفنا الا غلمان قريش وثقيف . وقال عثمان : اجعلوا المملى من هذيل ، والكاتب من ثقيف » ، Rabin, p. 79.

٣ الخصائص (١/١٣٠) ، ديوان الهذليين : القاهرة ١٩٤٥ ، مطبعة دار الكتب المصرية .

٤ سورة يوسف الرقم ١٢ ، آية ٣٥ .

٥ البيضاوي (١/٤٦٠) ، ابن مالك ، التسهيل (٥٧) .

٦ المزهر (١/١٣٣) ، (١/٢٢٢) ، (القاهرة ١٩٥٨ م) ، (الباب الحادي عشر) ، Rabin, p. 84.

العلماء الى موضع أخرى استعمل (ابن مسعود) فيها كلمة (عـتى) في موضع (حتى) الواردة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، كما أننا لم نجد في كتب اللغة المتقدمة إشارة الى استبدال هذيل حرف العين بحرف الحاء . ونظرية (فحفحة) هـذيل ، رأي متأخر لم يقرن بأدلة وأمثلة ، فهو رأي لا يمكن الأخذ به[1] . وأظن أن هذه القراءة المنسوبة الى (ابن مسعود) ، هي من القراءات المتولدة من حدوث اشتباه في القراءة ، من جراء عدم حصول التمييز بين (العين) و(الحاء) في (حتى) . ووقوع الاشتباه بين الحرفين في ابتداء الكلمات ، أمر ليس بصعب، وإلا فلمَ انفرد ابن مسعود في هذا الموضع فقط ، باستعمال (عتى) ، ولم يستعملها في المواضع الأخرى وهي كثيرة في القرآن الكريم ؟

نعم ، لقد ورد في روايات ان ابن مسعود قرأ (نحم) بدلاً من (نعم) في القرآن الكريم[2] ، وأنه قرأ (بُحثرَ) عوضاً عن (بُعثرَ)[3] . وهذه الروايات تناقض الروايات السابقة التي تزعم أنه قرأ (عتى) في موضع (حتى) في الآية المذكورة،إذ نجده في هذه الروايات يقرأ (العين) حاءً ، أي عكس تلك القراءة المنسوبة اليه . ثم إنّ المفسرين وعلماء القراءات ، لم يشيروا الى قراءات أخرى له من هذا النوع قلب فيها حرف العين حاءً مع تعدّد ورود حرف العين في القرآن الكريم .

وهناك روايات تفيد أن أسداً وتميماً استعملوا حرف الحاء في موضع العين في بعض الحالات ، فقالوا : (محَهُم) بدلاً (معَهُم) و (أأحهد) في موضع (أأعهد)[4] . ولكنها لم تشر الى أمثلة أخرى من هـذا القبيل . وهذان المثالان لا يكفيان بالطبع لإعطاء حكم في هذا الإبدال عند القبيلتين . ولكن هنالك رواية متأخرة لا نعرف مرجعها تفيد أن هذا الإبدال واقع في لهجة سعد بن بكر، وهي قبيلة تقع مواطنها في شمالي المدينة[5] . ولكن ما صلة ابن مسعود بهذه القبيلة وهو

---

١ Rabin, p. 85.

٢ المغني (٢٥/٢) .

٣ « أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور » ، العاديات ، الرقم ١٠٠ ، الآية ٩ ، Rabin, p. 85. Beck, in Orientalia, vol., XV, 182.

٤ Rabin, p. 85.

٥ المصدر نفسه .

من هذيل ؟ هل نفترض أنه أخذ قراءته تلك من أفواه رجال هذه القبيلة ؟ إذا أخذنا بهذا الظنّ ، وجب علينا اثبات ذلك بدليل ، وذكر أسماء الصحابة الذين أخذ ابن مسعود منهم قراءته . ويجب حينئذ رَجعُ تلك القراءة الى أولئك الصحابة لا الى ابن مسعود . والواقع أننا لا نستطيع أبداً الاتيان بدليلٍ ما يثبت استعمال هذيل حرف العين في كلامها في موضع الحاء وبالعكس .

ورأيي أن ما نسب الى ابن مسعود في هذه القراءة أو القراءات الثلاث، سببه وهمٌ وقع فيه مَنْ نسب تلك القراءة إليه، وهو ناتج من كتابة المصحف المنسوب إليه . وإلا ، فلا يعقل أن يقتصر ابن مسعود على هذه القراءة أو القراءات التي هي ليست من لهجة أهل مكة ولا أهل يثرب ولا هذيل ، ثم يترك سائر المواضع. ولا يعقل كذلك تلفظ الرسول بهذه اللهجة الشاذة التي لا نعرف من كان يستعملها على وجه ثابت ، وقد نزل القرآن بأفصح اللهجات .

والى أمثال هذه القراءات الشاذة ، التي يجب نقدها وتمحيصها بعناية ، استند (كارل فولرس) في نظريته القائلة بحدوث تغيير في نص القرآن الكريم . وهي نظرية لم يُقرّها عليه بعض كبار المستشرقين . ولو فحصت ودققت ، لتبين أنها بنيت على روايات لا تثبت أمام التمحيص ، أخذها لمجرد ورودها في الكتب : ولكن ليس كل ما يرد في الكتب بأمر مسلم به .

وقد بحث العلماء في اللغات التي وقعت في القرآن بغير لغة قريش ، وفي جملتها لغة حمير ، ورجعت الى بحوثهم ، فوجدت أن ما نسب الى الحميرية من كلمات، لا يحمل طابع الحميرية ، وليس من لغة العرب الجنوبيين بشيء . وقل مثل ذلك عن لغة (جرهم) ، فقد دوّنوا ألفاظاً زعموا أنها وردت بلغة (جرهم) ، ونحن نعلم من أقوال أهل الأخبار أنفسهم أن (جرهماً) كانوا من الشعوب العربية البائدة التي هلكت قبل الاسلام بزمن طويل . وقد ماتت لغتهم معهم بالطبع ، فكيف تمكن العلماء من تشخيص هذه الألفاظ ومن إرجاعها الى جرهم ؟ وقد وجدت أيضاً ان ما ذكروه من أمثلة أخرى على لغات القبائل التي وردت ألسنتها في القرآن هو من هذا القبيل ، ولا سيما القبائل الهالكة مثل (مدين) ، فالعلماء الذين شخصوا تلك اللهجات التي زعموا أنها وردت في القرآن، يذكرون أن بعض أصحاب هذه اللهجات هم من العرب البائدة ، فهم ممن ماتوا وبادوا ، وماتت

لغتهم بموتهم ، فما يذكرونه من ألفاظ لغاتهم الواردة في القرآن ، هو مما لا أصل له إذن . ثم إنهم نسبوا ألفاظاً الى (حمير) ، وجدنا أنها ليست حميرية أبداً ، أضف الى ذلك أنهم لم يدرسوا العربيات الجاهلية دراسة علمية ، ولم يكن لهم علم بها ، ولهذا فما ثبتوه ودوّنوه عن اللغات العربية في القرآن ، لا يمكن الأخذ به ، لأنه لا يستند على علم بالموضوع ، ولا على دراسات لتلك اللهجات .

ومن أمثلة ما ذكروه على أنه من لسان (حمير) ، الأراثك ، ولا وزر ، بمعنى لا جبل ، وحور ، ولهو ، بمعنى المرأة ، ولا تفشلا ، وعثر ، وسفاهة ، وزيلنا ، ومرجواً ، وإمام وغير ذلك[1] ، وذكروا أن (باءوا) ، وشقاق ، وخيراً وكدأب ، وأراذلنا ، ولفيفاً ، وغير ذلك من لغة جرهم[2] ، وهي كلها من تخرصات من نسبها الى جرهم ، لما قالوه أنفسهم من هلاك جرهم قبل الاسلام بزمان طويل ، فمن أبلغهم اذن أن هذه الألفاظ من ألفاظ جرهم ، ولِمَ نزلت في القرآن ، وقد نزل الوحي للأحياء وليس للأموات !

وقد ذهب البعض مذهباً بعيداً في اللغات الواردة في القرآن ، فذهب الى أن (غساق) ، بمعنى المنتن بلسان الترك ، وهو بالطخارية[3] ، وأن (سيدها) زوجها بلسان القبط ، وأن (الأراثك) بالحبشية ، وأن (سبحى) بلسان الحبشة ، وأن (الجبت) الشيطان بلغة الحبش ، وأن (حرم) بمعنى وجب بالحبشية ، وأن (سكر) ، بمعنى الخلّ بلغة الأحباش ، وأن (سينين) بمعنى الحسن بلسان الحبشة ، وأن (شطر) حبشية ، وان (العرم) حبشية ، وأن قنطار بلسان أهل إفريقية ، الى غير ذلك من ألفاظ[4] .

ونجد رواية تذكر أن الصحابة لما تشاوروا في أمر تسمية القرآن ، ما يسمونه؟ « فقال بعضهم : سموه السفر ، قال ذلك اسم تسميه اليهود ، فكرهوه ، فقال رأيت مثله بالحبشة يسمى المصحف ، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف»[5] ، فجعلوا اللفظة حبشية .

---

١ المزهر (٢/٩٣ وما بعدها) .
٢ المزهر (٢/٩٥ وما بعدها) .
٣ الاتقان (٢/١١٥) .
٤ الاتقان (٢/١٠٩ وما بعدها) .
٥ السيوطي ، الاتقان (١/١٦٦) .

ولو درسنا الألفاظ المعربة المذكورة ، نجد أن العلماء قد أخطأوا في تشخيصها وخلطوا في الغالب بين أصولها ، بسبب أنهم لم يكونوا يحسنون اللغات الأعجمية، ما عدا الفارسية ، وأنهم لم يراجعوا أهل العلم والتخصص في اللغات الأعجمية ، من رجال الدين من أهل الكتاب ، أو المتبحرين بالأدب من الروم والسريان ، بل اكتفوا بمراجعة أياً كان ممن كانوا يعرفونهم من نصارى ويهود ، وحيث أنه لم يكن لدى هؤلاء علم المتبحرين في الدين والأدب ، جاءت أجوبتهم فجّة أو مغلوطة ، ودوّنت على هذه الصورة .

ونظراً لعدم وقوف العلماء على اللغات العربية الجنوبية ، جعلوا ألفاظاً عربية واردة في القرآن مثل (العرم) لفظة حبشية[1] ، مع أنها لفظة عربية جنوبية ، مدوّنة في النصوص ، وجعلوا ألفاظاً أخرى من هذا القبيل ، من الألفاظ المعربة عن لغات أعجمية .

وقد اتخذ بعض العلماء حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف دليلاً على نزول القرآن بلغة قريش ، فقد قالوا : إن الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن واقعة كلها في لغة قريش ، ذلك أن قريشاً كان قد داوروا بينهم لغات العرب جميعاً وتداولوها ، وأخذوا ما استملحوه من هؤلاء وهؤلاء في الأسواق العربية ومواسمها، وأيامها ووقائعها ، وحجها وعمرتها ، ثم استعملوه وأذاعوه ، بعد أن هذبوه وصقلوه . وبهذا كانت لغة قريش مجمع لغات مختارة منتقاة من بين لغات القبائل كافة ، وكان هذا سبباً من أسباب انتهاء الزعامة اليهم ، واجتماع أوزاع العرب عليهم ، ومن هنا شاءت الحكمة أن يطلع عليهم القرآن من هذا الأفق ، وأن يطل عليهم من سماء قريش[2] .

وهو استنتاج غير مقنع ، لما أورده العلماء أنفسهم من أقوال وتفسير للحديث المذكور ، ولما أوردوه من أن الصحابة من قريش ، كان يشكل عليهم اللفظ من القرآن مثل (أبا) فيسألون عنه ، لأنه لم يكن من لغة قريش . فقد ذكروا أن (عمر) ، قرأ (عبس وتولى) حتى أتى على هذه الآية : وفاكهة وأبّا، فقال : قد علمنا الفاكهة فما الأبّ . ثم قال : لعمرك يا ابن الخطّاب ان هذا

---

١ الاتقان (٢/١٠٩) .
٢ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٨٣) .

هو التكلف . وذهب البعض الى أن المراد من اللفظة ما أنبتت الأرض للأنعام ، وذكر بعض العلماء أنها بلغة الحبش[1] . وذكروا أشياء أخرى من هـذا القبيل ، تعارض قبول هذا الاستنتاج .

والذي أراه أن نص القرآن يعارض حديث الأحرف السبعة ، ففيه : « بـل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ »[2] ، وفيه : « قل : ما يكون لي أن أبدّلـه من تلقاء نفسي ، إن اتبع إلا ما يوحى إليّ ، اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم »[3] وفيه « إنّا نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » . فليس للرسول أن يغير أو يبدل ما نزل به الوحي عليه ، ثم إنه كان لا ينتهي من الوحي ، حتى يأمر من يكون عنده بتدوينه بلسانه حال نزوله عليه ، وإذا لم يكن هناك كاتب أمر من يستدعي له كاتباً ليدونه ، فكيف يتفق ذلك مع هذا الحديث ، ومـع الأمثلة التي ذكروها في القراءات ؟ ورد أن الرسول علم (البراء بن عازب) دُعاء فيه : « ونبيك الذي أرسلت » ، فلما أراد البرّاء أن يعرض ذلك الدعاء على رسول الله قال : « ورسولك الذي أرسلت » ، فلم يوافقه النبي على ذلك، بل قال له: « لا ، ونبيك الذي أرسلت » . وهكذا نهاه أن يضع لفظة رسول، موضع لفظة نبيّ ، مع أن كليهما حق لا يحيل معنى ، إذ هو رسول ونبي معاً، فكيف كان يُجيز أن يوضع في القرآن مكان عزيز حكيم ، غفور رحـيم ، أو سميع عليم ، وكيف نقبل هذه الرواية التي تذكر أن (عبدالله بن مسعود) أقرأ رجلاً كلمة (الفاجر) بدلاً من كلمة الأثيم في الآية : إن شجرة الزقوم طعام الأثيم[4] ، مع ورود المنع عن تغيير أي حرف من حروف القرآن ، وهـل يعقل قيام (ابن مسعود) بذلك ، وسكوت الصحابة عن عمله ، لو صحّ أنه فعل ذلك .

ولو كان القرآن قد نزل بلغة قريش وحدها ، فلمَ كان الصحابة مـن قريش مثل (أبو بكر) و (عمر) وغيرهما ، يتحيرون في تفسير ألفاظ وردت فيه، أو يلجأون الى الشعر يستعينون به في تفسير القرآن ، والشعر هـو شعر العرب ، لا شعر قريش وحدها . قال (ابن عباس) « إن الشعر ديوان العرب »، وكان

---

١ عبس ، الآية ٣١ ، تفسير الطبري (٣٠/٣٨) ، الاتقان (٢/١٠٨) .
٢ البروج ، ٨٥ ، الآية ٢٢ .
٣ يونس ، ١٠ ، الآية ١٥ .
٤ الزرقاني ، مناهل العرفان (١٨١ وما بعدها) .

إذا سئل عن عربية القرآن أنشد الشعر[1] ، وقال : « إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ، فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب ، وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً »[2] .

قال (ابن قتيبة) : « العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض ، والدليل عليه قول الله عزّ وجلّ : وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم[3] ... ويدل عليه قول بعضهم : يا رسول الله : إنك اتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ، ونحن العرب حقاً . فقال : إن ربي علمني فتعلمت » .

---

١ مقدمتان في علوم القرآن (١٩٨ وما بعدها) .

٢ العمدة (١/٣٠) .

٣ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية .

obeikandl.com